

الإرث



إبراهيم الوردياني



ديوان قصص

إيهاب الوردانى

الإرشاد

ديوان قصص

الإرث
إيناب الرزداني

الطبعة الأولى ١٩٩٩
حقوق النشر محفوظة

الغلاف
الفنان
أحمد الجنائني

المراسلات
المحلة الكبرى - مجول
جماعة رؤى

رقم الإيداع : ١١٩٧٦ / ٩٩

الترقيم الدولي : I.S.B.N

977 - 19 - 9666

المؤسسون

إيهاب الورداني
محمد عبد الستار الدش
جمال عساكر
محمد عبد الحافظ ناصف
أحمد الجنائني

كتاب رؤى

يصدر عن جماعة رؤى
يعنى بالإبداع في كل مجالاته

• ————— الإرث - ديوان قصص

فاتحة

ها أنت لا تجيد الفعل ..
يغويك الإحتمال ..
في حضرة الفتنة :
- الجنة ،
- النار ،

- وما بينهما ..
تدراً نفسك عنها بالسكوت
من أين لك كل هذه الهدأة؟!
من الذى غيبك؟!
كنت واحدهم ... وكانوا
هم الآن لا يذكرون .
وأنت ..
تسهل الآن - أعضاؤك - فى جيبها :-
لمن الإرث اليوم؟!

إيهاب الوردانى

بورتريه

مره اءرى اءاول ان اسءعيد ملامءى . .

ءيف ءنء ؟ !

انا اءرف نفسى :

ءينان سواوان واسءءان ءبءر ، او ضيقءان ءائءان ءبئر .

فيهما واحدة أضيق من الأخرى .. ولا ترى .. ربما
اليمين .. فالشمال هي المستقرة .. هي التي أحقق بها
والتي كثيرا ما يضبطني الذي بجوارى أنحرف بوجهي قليلا
حتى تبدو العين اليسرى في منتصف الرؤية أو عامودية على
ما أرى فيندهش .. وربما .. هي التي كانت تجعلني أرى
البنات فوق الأسطح يتتظن أو يركبن على بعضهن أو تخلو
واحدة لنفسها وتعريها فأراها طالعة في عيني كنخلة وأكاد
أشم لحمها السباط فيجري ريقى .. أعتدل بكاملي ، فتراني
.. وتسبني قبل أن تتوارى وترميني :
" بالساهى أبو عين زايدة "

ربما .. وربما .. تحتها بقليل أنف مستقيم ومسطح من
أعلى ومنبعج ومفلطح عند الفتحيتين .. آه .. أعرف الآن
لماذا كان العيال ينادونني :
" يا أبو منخور " ؟ !

وأنتى عندما رأيت صورتى فى أول كارت لى بكيت وقلت
لأبى :

"المصور أتى ده وحش .. ما بيْفهمش "

يضمنى لصدره ويطبّطب علىّ ويقول :

"دى عدسة با بنى ما بتكديش "

.. انفعل ..

"يعنى صور واحد غيرك "

أقول : " آه .. شوف " .. وأشير إلى أنفى فى الصورة

واتحسس الذى فى وجهى بيدي فيضحك ويقول :

"الراجل بتفكيره وأعماله مش بشكله وهندامه " ..

أبعد عنه وأجرى وأتخاشى النظر للآخرين وحين أهدأ لا

أنزعج ولا أضع يدي عليه .. لكنى لا أحب أن أراه ..

لابد أنه كان يليه أو تحته .. من الضرورى أن يكون موضع

فمى .. أخرج الآن لسانى وأطوحه فى الاتجاهات الأربعة

يتحسس مواضعها .. تمسك أسنانى شفتى السفلى وتكاد

تقبض عليها بينما يصل - هو - لا نحناة ذقنى .. سرعان

ما يتجه للقوس اليمين ويمسحه .. ثمّة مرارة تتعلق به ..

يندفع للقوس اليسار .. ينزلق فى فجوة الضرس المخلوع

•• طعم المرارة لا يزال ، كل هذا الاتساع يستعيد - لسانى
- توازنه •• يصبو لأعلى •• لا أسنانى ولا هو بقادرين
على الإمساك بالشفة العليا •• نتوؤها بارز للعيان •• تتوتر
ملمحى •• لا شئ يتغير •• تصطك كلمة أبو ضب فى
أذنى •• وتدخلى •• لابد أنهم قالوها لى مرات •• كل
العيال يعرفون •• اليمانى الوحيد الذى قال لى وهو
يضحك :

" بَقَّكَ ^{وَسَّ} واسع لكنك لا تأكل زى العيال المفاجيع "

ساعتها لا أذكر هل ضحكت ؟ أم سكت ؟ أم بكيت ؟ ••
لكنى فى داخلى كنت سعيدا للدرجة التى نسيت فيها ضبى
•• هل فمى الواسع أخفى ضبى ؟ أم ضبى هو الذى أفضى
الوسع على فمى ؟ !

•• ربما •• حاجباى •• كانا كثيفين عريضين كطريق
لا تفصلهما عبسة ، ولم أقل يوما للحلاق أن يزيل ما بينهما
رغم إلحاحه على •
• ما الذى تبقى إذن ؟ •

ما الذى تبقى وعلى أن أحاول ، وأفتش فى ذاكرتى كى
تكتمل صورتى ؟

ملايحى أراضى ، وجسدى عجينة موقوتة شكلتها
التصاريف .. حلوها ، ومرها .. آه .. من المؤكد أننى
أعرف .. أذكر أننى كنت أعرفنى ..

- يا الوردانى

- أعرف

- يا الوردانى

- لا أعرف

- يا الوردانى

-

كانت رأسى كبيرة وشعرى حشن ولى غمازتان .. وكانت
أمى تقول عندما تخاف على .. " مش تاعبك غير راسك "
أضحك وأقبلها من جبينها وأنظر طويلا فى عينيها
وأغیظها بدلال :

" يامه راسى : ناسى وبلدى .. ومقاسى "

تعجب : والسجن ؟ !

أقول : " فيه كثير منه مجرمين ، وكثير منه مظلومين " .

يااه ..

لعلى الآن أتذكر وأستعيد - ملامحى - وأتففس ..

ولا أجرؤ

على الضحك

أو السكوت .

تكوين

على عتبة الباب تقف • عيناها حارسان ، يقظان ، حول
ملك • قلبها وجل • • كورت يدها ، نفخت فيها ، ثم فركتها
تحت الذى يدق فى جنبها ، فأحست بسخونة • •
أقفلت داخلة • • لمحت والدها على الجدار فجفلت ، وعضت

شفتها السفلى ، ، أخذتها الرغبة ، ، البسمة مشوبة برجفة
والبدن الصغير اكتملت دورته وفار ، ،
رنتَ لصدرها وثدييها وتتهدت وضمت وركيها بشدة .

أقف فى شرقتى الخشبية ، المطللة على الوسعاية ، ،
أرمى خوفى على المارين تحت بصرى ، يدفعنى دمنى فى
عروقى ، أقبض على حلمى ، كما ولدتنى أمى ، فى حجر
من اللحم الحبي ، أدفن رعشتى بأمر ربى ، أدخل سدرتها
وأخرج منها ، مدهونا بماء التكوين ، وعلى رأسى ريشة
بألف ألف لون ، وزغب خفيف ينبت بكثرة فى أماكن متفرقة
من جسدى ، ، تهب ربح الشروق ، تملأ صدرى . أفرد
قامتى . أشعر بفحولتى : أنا المختار ، ،

أرنوا للسماء ، ، البراح ، حور عين - على البعد - يختلسن
النظر ، لى ، أنا المحقق فى نهر الشارع ولا أرى شيئا .

دارت حول أمها ، فى الزربية ، ، (المساحة
المحصورة بين دورة المياه والقاعة ، والتي فتح فى سقفها

مفسور صغير للشمس والهواء) . . ذات البدن الفوار
سحابنة ، وقلقة غير قادرة على التحكم فى بعضها . سعدت
ونزلت ، دخلت وخرجت ، والعقل فى القلب يقرب الحجج
ويسويها - تتلجلج - ثم يعود لفورانها الهائج : " أنا رايحة
مشوار " .

خربش فأر فى البوص المطفى هبابا ، وغاب فى شق مفتوح
سحبت الأم الروث ، ومسحت عرقها ، والتفتت إلى ابنتها :
- " قبل ما حد يسأل عليك " .

القدم اليسرى التى نطت العتبة فى الشارع ، داست على
حصوة ناشفة فالتوت ، وكادت " خضرة " أن تقع ، لولا
سندتها على جدار جدها القديم . ضغطت على أضرارها
وتفقت . أحست بنسمة لافحة . . عدلت فستانها المفروش
بالزهر وسارت .

بنت القرى . . مستها يدي ، أنا ، خراط الصبايا :
نفخت فى طين الجسد روح الدلال ، وجلبت لها من الشمس

غصن عاج ، ومن القمر ألقا دواراً ، حملتها طيوراً موشومة
الأجنحة باخضرار لا يبهت ، له رائحة تتفد في القلب توأ
حتى إننى ، والرّب ربى ، يخيل على أنى لمستها •

رفت العين عندما حطت أسندت رأسها لجذع توتة ذكر
•• طوحت قدميها في الماء •• سال لعاب النهر •• انتشت
•• عضت شفتها السفلى •• سحبت القدمين ونظرت حولها
: أمسكت بحجر ، حكّت الكعبين الطريين ، فار الدم بفعل
السخونة وارتج البدن الصغير •

النهر يحضن السماء •• السماء تغوص في الماء
•• قذفت الحجر بتحنان •• ابتسمت •• بخيلاء مهرة نبشت
تحتها في الكف قبضة الطين ، كورتها ، سوتها على شكل
ذكر ، ثم بروحها نفخت فيها ، وقبلتها ••
ثم بدأت في خلع ملابسها •

على استحياء مددت نظراتي المشبوبة •• تابعتها حتى
ارتوت • كانت في مواجهتى ، وحبّات صغيرة على شكل

عصافير تطير من النهر ، وتحط على التوتة ، وتعاود
للسماء فترسم قوس قزح .. أحس نفسي مفعماً بالرغبة
والرغبة والامتلاء ، ورؤية بنت القرى تحت عيني ، تتمطى
حيث لا تطولها يداى . يملكنى غيظ .. أقرب :
- أنفاسى تخرج بصعوبة .. كانت تدندن .. تتمايل وتضحك
كأنما تداعب النهر ولا ترائى : أحمل هدمتها .. (فستانها
المفروش بالزهر ، سروالها المنقط ، كل شئ) .. أضمها
لصدري ، وألون صوتى فيخرج كما لو كان ديك فجر :
خ .. ض .. ر .. ه

حروفها تتمطى ، تتنفخ ، تصير طيوراً تفرش الأفق ..
تتنفض .. تغطى وجهها ، ترفس النهر بقدميها .. نصفها
غائض فى الماء ، وشعرها المبلول فى الخلف والأمام
وعلى الكتفين .. تروم ..
أرفع قشورها فى يدي ..
ونهمى طيوراً تحلق حولها :
خ .. ض .. ر .. ه

على نفسها لفت نفسها ، ذات البدن الفوار ، محاذرة
وقلقة ، غير قادرة على التحكم فى بعضها ، وبين الرعشة
والغيطة: تستميلنى .

العقل تحت الضرس ، يقلب الحجج ويسويها ، ثم يعود
لفوراناه : يسبنى .

كانت إحدى رغباتى أسمعها تنن ، وتتلقى ، تحت
صرخات أبيها وركلاته ، والناس يلتمون ولا يتكلمون . .
وأما فى النهار الذى هو فى لون وجهها ، تسحب الروث
وتمسح عرقها . . وأنا - فى عينى قبضة الطين على شكل
ذكر ، تروح وتجئ - فى بحر خوفى ، أقب وأغطس
أتعلق فى أعواد القش . . أمسك دفتى ، وأرمى خوفها على
المارين تحت بصرى . . يدفعنى دمتى فى عروقى . .

وعلى وجهى تحط طيور الصدى

- حروف ندائى -

فواره وحرارة : يا . .

خ ض . .

ر ه . .

مشاوير الأسياد

احتقنت السماء بقطعان الجمال .. غامت نوافير
الأرض وتلونت .. تجمدت العصافير على الأفرع العرايا
.. ارتعشت .. هجم فرس الليل على فرس النهار
فتعاقبت الأيام .

راح شهر وجاء شهر ثان ، والأقدام المعروقة ، الوارمة
لا تمل اللف والدوران فى البحث عن الولد والبنت . . كيف
رحلا . . ؟؟ !

الله وحده يعلم . . لكن آلاف الألسنة تبارت وكشفت
عن أسنانها الصدئة ، وخمنت وأجمعت على أنهما ، ولا بد
اتفقا على ساعة معلومة فى اليوم المعلوم :
معقول !

البنت الطيبة ذات الخمسة عشر ربيعاً ، التى لم تعرف
قدماها أكثر من عتبة الدار والقنطرة التى يبيعون عندها كل
شئ ويشترون ، ولا تبعد سوى أمتار ! !
معقول !

الولد الربعة ، المبتسم دوماً ، المختشى من العين
باستمرار ، حين تشوفه يتفتق ذهنه ، ويتمسكن لحد ما يتمكن
من البنت ويضحك عليها ، وعلى كل الذقون ! !
قالت الجدة المحنية القاعدة على جوال فى الركن :
- شوفوا المندل .

انتفضت أم البنت وكأنها حطت يدها على الولد ، وزعقت :

- بنتى .

ازدرد الأب جرحه ، وهو ينظر إليّ ، قلت وقد فهمت

مقصده : يدى على يدك .

أنا صاحب اللحية وحامل كتاب الله وافقت وقلت فى سرى :

- الكريم لا يضام .

احتضننى الشيخ الأعرج ، وحط على جبيني قبلة خفيفة

مكماً حديثاً ما كان قد بدأه :

- طول عمرى أقول فيه الخير . . أنا الذى رببته .

وربت بيده على كتفى : أهلاً وسهلاً .

من يرانى ، وقتها ، لا يصدق أننى أنا : احمر وجهى

وارتفعت حرارتي ، وانسلت برودة ، لا أدري كيف ؟

ولسعت جلد رأسى . .

كان الحوار لا يزال ممتداً ما بين الترحيب وآيات

العرفان إلى أن تشابكت شجرتا العائلتين فى جذع واحد

فارتكن عليها الأب وقال :

- الناس للناس •• والأقربون أولى بالمعروف •
ثم حدجنى بنظرة متعبة ، وكأنما يرمى الذنب كله علينا ••
وأكمل :

- الأولاد هربوا •

مستفسراً قال الشيخ :

- اللهم اجعله خيراً •• واستعاذ بالله من الشيطان

الرجيم •

بهم وانكسار شديدين قال الأب :

- بنتك " سكر "

وعاود النظر إلى

- أغواها إبراهيم

- إبراهيم خطيبها !

مدهوشاً قال الشيخ ، فلم يرد الرجل ، وبعد تمتمات

واستغفارات مجروحة ، مد يده ، وتناول كتاباً ضخماً مصفر

الأوراق ، وأوماً لى أن أبتعد قليلاً وأنا أتلو فى سرى سورة

يس • ولم أدهش لحلول الرجل الأب مكانى •

إبريق فخار سواده غطيس ، حنة أسوانى ، حلقا بر
زجاجة ماء ورد ، قمع سكر •

وذكر أوز لونه فى لون السماء عز الظهر ، وإيشارب لبنى
وآخر أصفر أفضل الألوان عندها •

وضعنا كل الأشياء التى بأيدينا عند دخولنا الحجرة و عددناها
أكثر من مرة قبل أن يدخل علينا الشيخ الأعرج بوجهه
المغضن الحاد القسمات • صرخ فينا :

- ناقص الأتر

زامت أم البنت ، وقلبت الجدة المحنية شفتها ، وأخرجت من
عنها قطعة قماش فى حجم كفى اليدين •
قلنا :

- الدكة مقطوعة •

لامنا بلطف لا يخلو من اعتزاز بعمله : إذا كنتم تفهمون هكذا
فى ما يطلبه الأسياد •
ما الذى دفعكم إلى ؟ ؟

• حاولنا التملص والاعتذار قلنا : منك نطلب العون

فى جلسته اعتدل ، ونادى للرجل والد البنت ليجلس على

يمينه ، وعلى الأم ، التي اختلطت دموعها بعرقها فأثارت
فتحتى أنفها على الدوام ، لتجلس على يساره ، ورماني
بنظرة ، ضاقت فيها عيناه ، وارتفع حاجباه . . . قلت :
- لا تقلق يا شيخنا .

• هز رأسه نافيا . . . توجهت إلى أعينهم . . . انتفضت واقفا
والغیظ يأكل منى . قال :

- أنت ابني . . . والأسیاد لا تخشى اللحي ، لولا عيناك اللتان
- صمت لحظة - تنفذان من الجدار . . .
- فى البيت - .

قال الأب : كلام الشيخ مضبوط .

قلت : يا خال (كنت أناديه يا خال تأدبا ولصلة قرابة من
بعيد بأمى) .

رد الخال : الأسیاد لا تكذب .

قلت : ظل إبراهيم معكم خمس سنوات خطيبا لبنتكم .
هل رأيتم منه مكروها ؟

قالت الأم : كثيرا ما تركناهما وحدهما . . . وبكت .

بلعت ألى وشكوكى وقمت :

هل أصدق خالى وأهل بيته الذين أصبحوا منا وأصبحنا منهم؟ أو أصدق أبى وأمى وأخوتى الذين يؤكدون أن البنت طالعة لأمها ، التى تزوجت خالى غصبا عن أهله وأهلها ؟؟

فى " سنباط " قالوا لنا عندنا فاطمتان ، الكبرى

والصغرى ، أيهما تريدان ؟

قلنا على الفور : الاثنتين . . نريد الاثنتين .

بعد صعود وهبوط لالتواءات ومفازات ، وحرارات وأذقه .
دلفنا إلى عطفة . . تركنا عندها الصغىر وقال : هذه الكبرى .

الباب عتيق عليه نقوش ، وبعض آيات تأكلت حروفها وكف من النحاس أزرق لونه ، قابض على جمرة على شكل كرة فى حجم حبة عنب بناتى .

الممر طويل ، مظلم ، كسرداب فى نهايته حجرة ليس بها شباك ، إنما كوة صغيرة قريبة من السقف ، ينفذ منها الضوء على استحياء ويتكسر على الجدران . كل الموجودين

نساء • همست لخالى ••

تمتم فى سره : بركتك يا حاجة فاطمة •

لمت الحاجة رجليها اليسرى وفردتها ، حكّت ظهرها فى الجدار خلفها وأحكمت قبضتها على شعر البنات النائمة فى حجرها ، كطفلة ، وحانت منها التفاتة وضعت فيها حنكة الشعر المبيض وتغضنات جلد غير مشدود ، وسعلت ، ثم ضربت باليد الأخرى ضربات متتالية على الجسد الممدود ثم قلبتها على وشها وظهرها كسمكة فى فرن •

الضربات عيدان حطب محمرة جاهزة للشواء •• والنسوة عيون مبحلقة على شفا حفرة تومض بالتوق للارتواء •• غصتُ فى نفسى ، ومسكتنى رعشة ورغبة عنيفة للخلاص فتململت قلت لخالى : هيا •

انتبهت لنا الحاجة ، كما لو لم تكن رأتنا ، بخبث :

- هنا للنسوان يا أولاد •

مط خالى جسده كدودة وسحب إليها :

- فى عرضك دلينا •

ضمت شفثيها ، وبلعت ريقها ، وكورت قولها ورمته •

- بنتك هربت •

غام وجهه وتغضن ، وبرقت عيناه :

- مدد يا رئيسة الديوان •

قالت الحاجة : بلهجة واثقة ، بعدما أشارت إلى : شجرة نبق

كنت ، جفت أوراقها وسقطت فتعرت الفروع : خير

يا حاجة !

- قريبك ؟

- أخوه •

ثمة شئ يشك الجسد ويتمدد فى خلاياه ، وبت عاجزاً عن

إيقاف الرعشة التى انتابتى ، وخفت أن أطرده •• قلت برجاء

فى أن :

- نعم الهارب أخى • والتى معه - يا رئيسة - بنت خالى •

بنظرة رممتى العجوز فباننت سنتها الذهبية ••

ومدت يدها •• أخرجت بسرعة ورقة حمراء وقلت :

طمئنى خالى •

خلف كومة من السحب الداكنة توارت الشمس •• رفت

طيور السماء بأجنحتها واستدارت على عقبيها ، دون أن
يمس تشكيلها أى اهتزازة . . . كان السراب على شكل هلب
غير معقوف الذيل . . .

أسقطت اللحظة فى الحلق المر . التفاصيل ملمومة فى قاع
العقل : كل النساء اللاتى رأينهن عند الحاجة اشتركن فى
طلب واحد ، ليس له ثان وإن تعددت أشكاله :

- طلبت البنت النائمة فى الحجر بعد الضربات على الصدر
والظهر والأرداف حجابا فلم يعد زوجها كما كان فى الأيام
الأولى .

- قالت الشمطاء للعجوز : أريده يغلى ويفور ولا يهدأ له بال
يتقلب على الأشواك ويشرب المر . بعد عشر سنين لاف
على غيرها .

- بنت المدارس لم تتخرج من نومتها فى الحجر وهمست :
مكتوب لى عمل لا يصبر معى سوى أيام بعدها لا أراه .

ضربت الكف بالكف ، وخفت أن يسقط منى الرأس فأقعيت
على عتبة الجامع . .

والخجل يأكل منى - أنا صاحب اللحية - لا ناقة لى ولا
جمل فيما حصل . .

أخى يهرب و بنت خالى تهرب وأنا وخالى على من لا
يساوى ندور . . أرى فى عينيه الاتهام فأبلعه ، ويرى فى
عيني الشفقة فتتكسر على جفنيه الدموع . .

أقول : يا خال . . والقلب منى واه مخنوق . . (هل أبونا
آدم عف ؟ وهل أمنا حواء من الذنب بريئة ؟ . . حينما طردا
من الجنة . !)

الهم جمل يبرك على القلب فينوخ الجسد . . فتحت عيناى
بابى مجراهما . . أهمس !

- لم نقصر فى شئ .

عينا خالى عنزتان حمر او ان لا تكفان عن المأمة . . وأنا -
جرو - مطيع ولدتى أمى بين قطيع الله - أتبعه أينما
مضى . . فردت الحاجة فدان برسيم أخضر أمام العنزتين

- ومن عجب - أتت بفتافيت خبز مقدد ، وبسمة كبيرة
بعرض البحر . . . قالت : كله بأمر الله . . . وابتسمت . . .
ومدت حبل كلامها ولفته حول عنق خالي :
- الأولاد بخير .

ودقت مسماراً في الأرض وربطتني :
- لم يخرجوا من البلد .
قالت :

محطة . . . ومدرسة . . . ومستشفى . . . وأسفلات وعرزت
عينيها في عيني خالي . . . وتمسكنت :
- زمن غير الزمن . . . الدنيا تغيرت .

ومالت ناحيتي ، وغمزت - كانت مليحة وسمينة والذهب في
الذراعين لحد الكوع ، والشال الأبيض على الرأس انزاح
للوراء فبان الشعر ناعماً ، فاحماً ، كغمامة - :

- لو تحلق ذقنك ترضى عنك الأسياد .

كنست أمي أضرحة الأولياء - سيدي حسب الله وسيدي فايد
والأربعين وابن عفان فجر ليلة جمعة ونثرت أتربتها في
بيتنا :

المندررة والقاعة والزربية ولم تتس وسط الدار . .
" والكرسى " وطلعة السلم وقدام الفرن . . بعدما نذرت لهم
الشموع والحبوب والمناديل الحرير المعطرة .

• ما قالتها الفاطمتان أمر

قال خالى : هل تأتي معى ؟

قلت : لم يعد الأمر بيدي .

فى المنصورة نزلنا . . خلفنا : النيل على شاطئيه تتلألأ

الأنوار وتتماوج فى مائه قوارب العشاق . أمامنا : مبنى

المحافظة وشارع البحر وجنود تروح وتجئ كغربان .

اقتربنا من أحدهم وسألناه : شارع الثورة .

رد بامتعاض : أنتما فيه .

كل عمارات الشارع دخلناها . . نقص على البواب

حكايئنا . . تتخن فيه الجروح ويستغفر الله من الزمن

الحرام وأولاد الحرام .

يقوم معنا •• شقة •• شقة •• نسأل •• تستفسر ••
لا شئ •

أخيرا قال لنا " أنسى " ابن حلال : هنا بيت يسكنه التارحون
من بعيد وأنتار إلى مبنى قديم على مبعده ••
قال خالى : الدنيا بخير •
قلت : بخير •

فى نفس الطريق مشينا •• كل واحد منا يحمل العالم على
كاهله •• مجرد مخاوف تتنازعنى •
ماذا يحدث لو انطبقت السماء على الأرض ؟
كل ما فى الأمر ستهلك أمة وتقوم أمة مكانها •• وأنا ••
واحد من ملايين •

ألته قليلا وحلقى يجف ••

لا أدرى فيما يفكر الآن ؟

باستغراب ينظر إلى •• اضطرب وأعتذر له •• توقفتنا قدام
المبنى •• المدخل عتيق تقوح منه رائحة ودرج ينوء تحت
الأقدام •• سعدنا متقلين •• استقبلتنا امرأة لها وجه

الفاطميتين كأنما انتظرتنا .. بشوشة .. مرحبة ..

- يا ألف أهلا وألف مرحبا ..

ثم أضفت موجهة دفتها صوب خالى ..

- طلبك موجود ..

- مدد يا رفاعى .. يا رئيسة الديوان نظرة ..

قالها وهو واقف .. كان يمسح دمعيتين انحدرتا على الخد

الناشف وينظر إلى فى صمت .. لم يعد الأمر بيدي ..

سأتبعك أينما تذهب .. عند باب جانبى أوقفتنى بذراعيها ..

باسمة :

- هنا له ..

ترددت .. قالت بمهارة امرأة أخرى ويدها على ذقنى ..

- الستار موجود ..

كنت جالسا القرفصاء .. أخفى وجهى بين ركبتي ..

وخالى يلطم خديه كالنساء حين شخط فيه الشرطى توقف ..

- بطاقتك ..

كان يرتعش ويدها تفتشان عن المحفظة فى جيبى الصديرى

- وأنت •

رائحة كريهة تدخل أنفى وتتربع •• لا أقدر على التحمل
•• دفعة واحدة تبصق أمعائى •• يسندنى •• كان يؤلمنى
قليلاً •• أتماسك :

يقول الشرطى بقرف : امسحوها •

- كل ما تعلمته ينزلق ويسقط تحت قدمى ويديّ فأدوسه ••
مُثَحِنَى الظهر •• تتمرغ عيناى فى بلاط القسم •

- أنتما محظوظان •• لولا العين الساهرة ما عفونا عنكما
يا صاحب اللحية •

كنت أدرك أنه لا يمكن العثور عليهما •• ربما رحلا إلى
العراق أو إلى الكويت ••

فوق حجر فى حصن الشاطئ استكنت • أرمى الوجه
بالماء •• فى الماء وجه •• وغيوم •• ونجوم ترتج ••
وخالى يربت على كتفى : حقاك على •

كانت النجوم تغطس وتقب وتتماوج والغيوم تفرش
العيون فلا تقدر على الرؤية •

سجدة السفر

هاهو أنا ، كل يوم ، أحاول أن أرضيها .. وهاهى
كل يوم ، تعاندنى على نحو فظ وحائق ..
فى حقيبتة " الهاندباك " الزرقاء وضع بيجامته وبعض
كتبه التى لا تفارقه ، ومضى ..

فى السياره ، بدت شوارع القاهره بناسها وضجيجها
وعماراتها كئيبه ورمادية . . . وصديقه الذى بجانبه كان قد
أسلم قياده للنحاس ، وترك فمه مفتوحاً لذبابه كالحه تحط على
جانبه . . . الآن ثمة شئ واحد مؤكد له . . .

(كثيراً ما كنت أقوم فزعا ، حين أشعر أن هناك من
يقومان بتكميمى ، ويضعان يدي خلف ظهري ويوثقانها
ويسحبانها من جوارى وهى مغمضة العينين ، وحين تفتحها
وتتظر إلى ، ولا تمنع ، أكاد أجن) .

انتهر أبى فرصة وجودى وحدى وقال : تزوجها .
سكت . . . لا أدري ما الذى تملكنى ساعتها . . . وكيف كنت ؟
هل تفتت شذرات أم بللى الرذاذ فتكونت من جديد ؟؟
كانت أمامى وادعة وطرية تتفرس فى وجهى ثم مدت
يدها وتحسست أعماقى فارتجفت قال متماديا فى غيظى :
الغرفة التى تسع سبعة تتحمل التسعة .
دمدمت قبل أن يكمل -

: " واللقمة الهنية تكفى مية " .

قال : آه .

- وأمال رأسه للشمس حيث جنحت : كانت أشعتها الحمراء
تكشف عن خيول تغوص أقدامها فى شوارع مدينة ، تاهت
معالمها ، وسط سحابات الدخان والغبار وتلال
القاذورات . .

وكان أبى دائما يقول عندما أكون وحدى :

- لماذا لا تتزوجها ؟ !

وفى كل مرة ، حين أراها ، وقد انحسر شعرها ، بعدما كانت
ضفيرتها ملفوفة على خصرها ، تكون إجابتى مختلفة .

بعينين ، قادرتين ، واسعتين كبحر تفرستنى وتفتقت فى

وجهى :

- لم تعد تهز نخيلى . . ولا تغويك رطبى ، وتمضى شهور

دون أن تقترب منى .

وقالت :

- قد أكون زوجتك لكننى امرأة .

لم أستطع أن أحبس غضبي ، فثرت .. وقذفت " الطفاية " في زجاج النافذة فتحطمت - هي - إثر صدمتها بمقبض الشيش المقبول .

كان صراخي عاليا .. وامرأتى تقف خلف ولدنا الصغير الذى لاحظ انفعالى ، وبحة صوتى ، فابتسم .. وجرى نحوى ، وجذبنى بيديه الطريتين .. ثم رفع الفازة ورماها - مثلى - فى اتجاه الشباك فتناثرت ورودها وشظاياها .

(ورأيتهما يضحكان ، ويقتربان منها ، ويهمسان فى أذنيها - كل من جانب - ويشيران إلى الصغير .. ثم ناحيتى .. أملت رأسى للشمس حيث جنحت ، وانفرطت من أشعتها الحمراء خيول تغوص أقدامها فى شوارع مدينة لا تعرفها .. تاهت معالمها ..)

انقبضت .. ناديت أبى ..

كان أبى معلقا على الجدار ، وبرائن غبار تتشبث به .

الرقص على الخليج

تراه وحده ، في ميدان المحطة ، كل صباح يقف .
يزعق بأعلى صوته . . . تلتفت رؤوس كثيرة ، بعضها
تحوّل ، بعضها تغوص أعينها تحت القدمين ، وآخر لا
تدرى : هل اندفعت أم وقفت أم لا ترى شيئاً على الإطلاق ؟

حط صمت ، وتناثرت بقع رمادية فى السماء ، ، كان
يرفع يداً ، والأخرى فوق خصره تشكل قوساً ، ويدور ، ،
يلف حول نفسه ، ، ويدور ، ، يضع دائرة ، ، ويدور ،
وما إن ينتهى وعيناه معلقتان بالجموع حتى يجأر ، ويدوس
بقدميه على المحيط ، ، يشق خليجا ، وصوته الأجدى يرن
فى الأنحاء بأسماء من يمرون عليه ، فرداً ، فرداً ، يدعوهم
للانضمام له ، ، ثم يخنق فى عينية الشفقة ويشير فى اتجاهنا
: مرغمين ، ، شاشات أعيننا تطوى ، فى سرعة ، صفحات
الوصول والإقامة والعمل ، وتتريث عند المجيء ، ،

الشنط حبلى بالقماش والبطانيات ذات الوبرة الناعمة
والقطيفة الملونة والقرى الذى يتشقلب ، والعروسة التى تغنى
وتبكى فى آن ، ،

عندها يصرخ ، ، ننتبه : جثة تحت الأقدام ، وطفل –
رمته الأيدى بعيداً – تحجرت فى عينية الدموع ، يشيعنا
بحسرة ولا يقوم ، ، يقترب منه ، ، ينفذ عنه التراب ، ،
يأخذ بيده ، ، وينظران إلى بعضهما ، وإلى الممدد هناك

حيث يحاول ، عبثاً ، القيام ، يساعده ، ، وحين يقف
ينظرون - إلينا - ثلاثتهم : الدهشة على أفواهنا طيور فزعه
بشبورة الصباح ، ، كنا قد مللنا الحديث عن تدمير العراق
وانهيار روسيا وتفاهات الزعماء ، ، تتشابك أيديهم ، ، هل
يرونا بينهم الآن؟! ، ، يوسعون ما بينهم في حركة لا تهدأ
، ، يصنعون دائرة ، ، من المؤكد لا يشعرون ، ، يشقون
خليجاً ، ، أو اه : هذا هو الممنوع ، ، ثم ما نابت أن نندس
معهم ، وهمماتنا تعلو ، ، نصرخ ، نجأر :
- يا ولاد الكلب !

تتضام صور القتلى والجوعى والمحرزوين ، تتكاثر
الهوام والذباب ومخلوقات الطين ، ، يزدحم الميدان ، ،
تبحث عنه ، ، لا نرى له أثراً ، ، ربما قد تبخر أو لم يكن
جاء .

كل منا ينظر إلى نفسه ، ، يدعو في سره أن لا يكون
أحد رآنا ، أو سمعنا ، ، نلهث خلف أبواب الأتوبيسات ، ، ،
تصطدم أجسادنا : يد تدفع ذراعاً ، ، ذراع يسحب قدماً

•• أنفاسنا غيمة فوق الرؤوس •• قدم تدوس فى بطن جسد
•• جسد يصطك بالأرض •• صرخاتنا آهات تأتي
من بعيد ••

فيما هو دون اكترات ، على البعد ، كأنما بزغ فجأة
كشمس هذا النهار •• يتخطى الغيمات •• يكسر الحلقة ••
يفردها •• يقترب أكثر :

خطوط الدم المنسابة من الفم والعينين وجانب الرأس تشكل
أرض الوجه خليجاً أصفر ، داكناً •

هل السماء مترعة بشفافية لا تبين ؟ أم أن عتمة الغيوم
تنز وحلاً فوق العينين ، فينسب على الشفتين وينزلق إلى
بحر اللسان فيكف عن الكلام •• ؟ !

واجماً يتقرس فى وجهه •• فى حلقة الذباب حوله ••
يده على فمه ، تكتم وحوحة عارمة : مات ؟ !!

•• وحده نراه ••

يرفع يداً ، والأخرى فوق خصره ، تشكل قوساً •• ويدور

•• يدور ••

•• ي

•• دو

•• و

•• و

•• ر

نهار سابق

قبل أن يفتح عينيه ، ينقلب على بطنه ، تمسه برودة
يمد يده ، يحتضن مكانها . . يرتجف . مذعوراً يعتدل .
تهاجمه رائحة :

- جسدها على الكرسي ، رأسها فى المرأة ، يداها تفتحان

علب البودرة والكريم والماسكرا والكولونيا .. قدماها تدبان
على البلاط ..

هل يترك لها نفسه ؟ !

تثبت عيناه قليلا ، كأنما بحركته يوقف الزمن فيكف
الكون عن الدوران ، ينسحب بهدوء من جانبها ، قاعدا ، تغيم
سماؤه ..

ينفض عن كاهله ما قد علق - بمرور يديه على وجهه
وشعره فيما يشبه الحلقة التي تضيق فوق أذنيه ، بفعل فاعل
- كأنما ينكأ جرحاً .. يحتويه حنين ، يبين فى عينيه
يلتفت إليها :

- الوجه الصغير ، صبوح ، تعبره دكنة ، والعينان
الزرقاوان تخنقهما هالات سود حطت تحت الجفنين وفوقهما
والأنفاس الصاعدة تنن ..

مال عليها ، ضمها لصدره ، كعادتها مستغرقة فى النوم
.. تلتصق به أكثر .. ثمة موجة تجتاحه ، تخلع كيانه ..

يلثمها .. تشعر .. تفتح عينيها ، ما تلبث أن تستدير
بعصبية وتزيجه بمؤخرتها .. لا يحيد نظره عنها ..
تبرطم ..

يقول " كفى " ويهزها برفق .

ترد " أنا أحلى منهن ولست أقل " .

تمسكه رعدة " لا هن كما تعرفهن ، ولا نفسه كما يعرفها "
هل يترك لها نفسه ؟ !

قالت أمه والحزن يغطي وجهها :

- " الرجل للمرأة يا بني " .

ينط الغضب في عينية :

- " والمرأة لمن " ؟

تبلع ريقها ، حنكة السنين تغلف صوتها :

- " من أجل الأولاد " .

تركبه نفسه ، ينتفض ، يفتح عينيها ، ينقلب على بطنه ، تمسه

برودة ، يمد يده ، يحتضنها :

- " لا هي ولا الأولاد " .

مذعوراً يرتجف .

رجفة

١ - توجه - عم كمال - تجاه الصوت .. كانا يقفان
بزيهما المدني .. خمن أنهما - ولا شك - من قوات الأمن
كانت نظراتهما مستريبة .. تفحصاه من فوق ومن تحت
.. نظرا لبعضهما .. قال - عم كمال - بامتعاض : نعم !

جذبه أحدهم بغیظ : « وحياء أمك »!؟

ضغط - عم كمال - نفسه ، فى حركة غريزية للدفاع
فلم يبد على وجهه أى تأثير غير الصمت .

٢ - انتبه - عم كمال - حين التفت حوالیه . . كان
وحده فى الشارع . . ارتشق الصوت فى أذنه :
- « خذْ ياله » . .

شعر برجفة ، ولم يبال . . كان الصوت أمرا ووقحا . .
توجه - عم كمال - مطيعا تجاه الصوت . . كانا يقفان
بزيهما المتشابه . بنطال أزرق وقميص لبنى ، وعلى جانبى
كل منهما طبنجته فى جرابها . . قال فى نفسه : ضابطا أمن
كانت نظراتهما مستريية . . التفا حوالیه . . نظرا لبعضهما
. . قال - عم كمال - نعم . . جذبه أحدهم بغیظ :

- « وحياء أمك »!؟

ضغط - عم كمال - نفسه فى حركة غريزية للدفاع
فلم يبد على وجهه أى تأثير . . هاجمه الآخر بركلة مغتازا
« ساكت لیه » .

٣ - كان - عم كمال - يسير وحده فى الشارع ذات
صباح : مشغول البال . يهبط قلبه ويصعد سلالم ضيقة

ومتهدمة تحت وطأة الكيس – كما يسميه أو « الجوال »
كما يطلق عليه البعض – الذى يحمله على كتفه . . .
ترى من منهم سيقابله ؟ . . . ومن سيعطيه ؟ . . .
ومن منهم سيتهرب منه هذه المرة أو يخافه أو لاده ؟!
. . . حين ارتشقت فى أذنه « خُد ياله » عبرت جسده
فشعريرة ، باغتته ، امتعضت منها أمعأوه . . . وجد نفسه
أمامهما . منصاعا ، لما بدر من وقاحتها ، عندئذ تأكد
ماهيتهما . . . كانا ضابطى أمن .
بريبة تفحصاه ، كمن يطرزان فراغهما . . . نظرا
لبعضهما . لم يكمل – عم كمال – نعم . . . أو أكملها بتهتهة
. . . جذبه أحدهم بغیظ : « وحياة أمك » ؟ فى حركة غريزية
للدفاع ضغط – عم كمال – نفسه ، وجاهد ليقول : « يا بنى
دأنا زى . . . » .
أجهضت القدم الممدودة فى البطن ، ركلة ، الجملة فلم
تتم . . . وخرجت « أبوك » واهية منقطعة فى وهن رغما
عنه ، ولم يتكلم . . . كانا يقفان والغیظ عيون أربع تطق
شرراً .

٤ - أمام كائنين غريبين وجد - عم كمال - نفسه . .

استدعته الحاجة ((خذ ياله)) الوقحة . . كانا يحدقان فيه
بريبة أول الأمر . . ثم دفعهما الملل إلى ترجية فراغهما
بلعبة . . تحولت إلى ما يشبه الحلقة . . مدا أظافرهما
الفضيعة وخمشا الجسد العجوز فنفذت لأحشائه :

- إيه فى الكيس ؟!

- إرهابى ياله ؟!

- منشورات ؟!

- تتردد على الصحافيين ؟!

بعض المارة دفعهم الفضول ، لرؤية المنظر عن بعد :

عم كمال يزحف على يديه وركبتيه يللمم أشلاءه التى انبقرت
من الكيس : جرائد قديمه ، جرائد جديدة ، أوراق محبرة
مجلات ، كتب ، وبعض لقيمات مقددة وحبطة طماطم
مضغوطة الجانب وإفادات لأدباء حين رصها - كما
تعود - بعناية داخل كيسه أو جواله عندئذ تأوه مذعوراً .

٥ - كان يرتدى الجاكت رمادى اللون ، على رأسه

الطاقيه الغامقة متآكلة الحواف فى السابعة والستين . .

أعرف أنكم تعرفونه . . من المؤكد قابلتموه نعم تعرفونه . .

الرجل الطيب يحمل كيسه على كتفه ، بكل حرص وعناية
ويحل عليكم قبل أن تصحوا من نومكم أو فى محل عملكم
يهدىكم من طيبات ما يحمل دون مقابل . . . فيدهشكم . . .
ما الذى ، الآن ، يحدث له ويرجفه ، وهو يسرد لى كيف
وقف الوحشان على رأسه ومد أحدهم قدمه الفظيعة وبقر
أحشائه ؟

٦ - « خذْ ياله » . . .

لم يكن هناك سوى - عم كمال - يحث خطأ منهوكة -
تحت أشعة الشمس على كورنيش النيل . . وأرتال من
المخلوقات - متفاوتة الحجم - تتدحرج خلف بعضها أو فى
اتجاهات متعاكسة . . بلا يقين . . كان يعرف أنه وحده -
من قليل - الذى يحمل الأحلام ، والرؤوس الفارغة كثيرة
. . وأى حلم لو صغر - حتما يتقل الرأس الداخلى فيها
ويؤلب عليها الأنطاع والسفلة ومأجورى التفاهات . .
فقط أفرغ رأسك من حشوها . . ثم أضحك بملء شديك
أو ارقص كما يحلو لك . . أو اخلع ملابسك - كما ولدتك
أمك - ساعتها لن يلومك أحد . . أو يقترب منك أحد . .
أو ينادى عليك . . « خذْ ياله » . .

• وكان لابد من هول الفجأة أن يسكت .
• وكان لابد أن ينهره أحد الضابطين ، ويغتاز الآخر ويركله .
• وكان لابد أن ينام – عم كمال – ليلته ، عرض ، فى
التخشبية .

بطريقة ما كان لابد أن تحدث هذه الأشياء
لماذا إذن أرتجف ، ويسقط قلبى تحت قدمى ، وأتذكر أبى
الذى مات قبل أن يسرد لى ؟ . . ويجرى أخى – الصغير –
فى عيني بضحكته التى غابت معه « ابعده عنهم على قد
ما تقدر » ؟

• وتقول أمى « الباب اللى يجيئك منه الريح سده واستريح »
• وأنا الآن

• • أرتجف

• • أرتجف

• • أرتجف

• • غير مستريح

الإرث

••• يومها لم أملك نفسى ، كانت أمى بين يدى الطبيبة
دجاجة مهیضة الجناح ، قلبها يمينا تهاود ، قلبها يساراً
لا تعاكس •• كانت تغرز أصابعها الرفیعة تحت الجنبین
وفوق السرة ، وقلبی یطلع معها وینزل •• أرى وأكاد

لا أرى :

الجلد المكرمش فى تهدله ، والزرقة الممزوجة بالصفرة . .
تضع " سماعتها " فوق البر وتحتة ، وتستقر قليلا فى وهدة
الصدر ، كرشة النفس تتشكل ألف حالة وحالة ، تفتح فمها
وعينيها وتزيح تكة سروالها المرقع إلى مالا أرى ، أبلع
ريقى وحصوات دموى سدت منافذ الرؤية عندى . .

هل ستروح أمى كما راح أبى ؟؟

صغيرا كنت ، أبى ممدد فى المنذرة ، والنسوة يتوافدن
علينا ، ملأن وسط الدار وقدام العتبات ، السواد يقبض العين
- بينهن أمى : تدفن رأسها فى عبها ، ومن حين لآخر تخبط
عليه ضربات متتالية ، متباعدة حيننا ، وتشق السكون
صرختها . . أجذبها من يدها . . تلقنى أخرى فى حضنها
وتبوسنى . أزعق ، وأتقلص من أيديهن إلى أمى . . تمسح
دمعتها ، وتتنظر فى عيني طويلا . .

كنت أرهم يشيرون لاكتتازى وغمازتى ويقيسون أمى . .
أدخل بين يديها وأضمها لصدري . . لم أبك أبى ، ولم أمش

فى جنازته بين الرجال ، ولم أتلق بالنعش كما فعل أخى ..
كنت فقط أأذب أمى وهى تجر جرنى معها أو تشدنى لها
وتعاود النظر بعينى، ورأسى .

.. كانت عيناها تغوصان فى قيعانها وتبحثان عنى -
أنا الهارب الواقف على مقربة ولم أجرؤ على الاقتراب -
والطبيبة تهمس لأختى : " أعطوا لها حنة لحم " .
أختى تهز رأسها ، مثلك يا أمى تعودت الطاعة ، وتمنع
السائل من عينيها وفتحتى أنفها ، محاولة ، بطرف كمها ..
هل سمعت ؟ ! ورأيت ؟ !

هل كنت مركونا على جدار فهويت إلى سابع أرض ؟ !
هل تملصت من الأيدى والعيون والاتزان وما شاء قد كان
.. وجريت كالمهبول أخترق الزحام حتى المقدمة ، ثم
رفعت يديّ فكانتا سدا .. مدفوعاً بالبكاء والحنين وحلم لم
يزل .. ثم نفخت فى صورى ، بما أوتيت من عزم ، بعدما
أشارت إلى ، فتوقف الجميع وحط الطير على الرؤوس ..

كنت سادراً فيما انتويت ، وحدي أحملها ، وحدي أحطها
" وتنشيش " دموعي الطوب الذي تحت رأسها •

هل ألقيت نظرة أخيرة عليها ؟ !

كانت عندما تسافر عيناها للبعيد تصمت ، فتنضم
الشفتان وتتسحبان للداخل مخلقة للزمان أخدوداً ، قحلا
موحشا •• يا للذكرى !•

ينقبض القلب من الألم أداعبها :

- كيلو اللحم بقي بعشرة •

تفهم مقصدي •• أكمل •

- يعني الربع زاد نص جنية •

أقول كلاماً لم أسمعته ، لكنني أعرفه •

- الملح أحسن من اللحمية •

- يا ولّيه •

ترد الروح لمجراها بأمر ربها ، وتعاود النظر لعيني

•• لعلها بكت أو ابتسمت وشالت من صدرها قلبها وأعطته

• لى

قالت خذه ، فقبضت على أصابعها وكانت قريبة منى . .
حدقت فى عينيها الغائرتين وفمها المضموم وخدودها التى لم
تعد . . وارتجفت . . من الآن لى ؟ !

أعمامى : بعد أن سافر أبى ، مثلما كانت تقول قديما
عندما يسألها أذى ، لم يدخلوا دارنا ، ولم أحاول - رغم
كلامها الطيب عنهم - أن أسأل فيهم لا بالطيب ولا

خالتاى .. لن أنسى ما حييت قعدتهما قدام القاعة
صوتهما فوق صوت أمى و " الفقهاء " فى المنذرة لم يكملوا
الصمدية . . (الحق لا يزعل - غضباً عنا يا أختى - الحال
من بعضه - صبرنا أكثر من اللازم و . . .)
كدت أصرخ فيهم لولا خوفى من غضبها ، ومخاصمتى
. . . قالت لى بعدما مضيتا : غلابة .

- رباهم وعدلهم .

أرد بعصبية :

- حقهم .

تقول بهدوء وثقة قاطعة .

أغض القلب على الوجد .. لا أقارب نافعة ولا جيران ..
مثل أي ناس نعيش عيشتنا .. لنا جاران .. أحدهما : بعد
حجه انشغل بطلاء بيته بتبليطه ، ودائما ما كان يقف عليه
بابه ليل نهار ..

الثاني : " الحانوتية " صحيح أن دارهم ليس لها باب ..
لكن من لم ير من الغربال أكيد ...
من الآن لى ؟ !

أولد من جديد أم أكتشف بوضوح نفسى ؟ !
بين كفى وجهى مسبل الجفنين ، أقبض على ملامحها :
تقاطيع وجهها ، استدارته ، اكتنازها ، كرمشة جادها
الصفرة والزرقة .. كأنما أراها لأول مرة أو أملاً العينين
والحواس بها وأتساءل هل كانت لى من قبل أو لم أسع لها ؟ !

أصل خيوط التمنى .. رأسى تدور .. أتحامل عليها
.. آه .. مثلما تريد يا أمى .. يرفرف قلبى ، لا أقدر
هلعا فى جنبى .. قدماى لا تقويان على حملى ..
إلى أين ؟

على غير هدى أسير أم إلى من يعصمني ؟
من حارة لحارة .. لشارع وشارع .. أفر من العالم أم من
نفسى ؟ ..

صهد الشمس لا يفرق بين الحارات والشوارع .. فى
دوامة العوز ، أقف .. مترددا .. ضريح سيدى نصر فارد
طوله فى شموخ ، والمسجد قدامى .. أتمتم بالفاتحة ..
أتلعثم .. أتعثر .. تهرب منى .. أحاول .. تهرب منى
.. أكر على كل كلمة كل حرف .. لا يمكن ..

كانت تقول إذا ما ارتاح رأسى فى حجرها ، وأغمضت
عينى ، ويداها تتسلان إلى شعرى الخشن ، تدعه فى دعة :
أه لى تصلى .

أزيح يديها .. تبقى " الخالق الناطق " هو .. فى غيظ
مصطنع أعتدل وأكر على أسناني : ألا تكفى الجمعة ؟ .
- عمره ما ترك أذان .

صوتها يخرج للبعيد البعيد ..

تتقلص أمعاني .. تتفرد .. يتكور ما بداخلها عند فتحة
الخروج .. أتخذ هيئة العالم وأنا استحلب رضاها .. :
- من الجمعة للجمعة ...

تخرج " نشة " من بين أسنانها ، مضغوطة ، وتشيح بوجهها
عني .

آه يا أبي لماذا ، إلى هذا الحد ، أشبهك ؟

مع أنى على ما أذكر ، كالريح كنت ، لم أستكن مرة لحضنك
.. أفعالك كلها محسوبة على أو ملزم أنا بها كلما مشى بي

العمر ؟ !!

جلوه

فی شارع البحر أمشى . . أرى الناس من حولي صفا
صفا ، مندفعين في نفس اتجاهي . . .
وكثيرا ما وقفت وحدي دون أنيس يشاركني خلوتي ، أداعب
الماء بقدمي الطفالتين فتشدني . . أقذف ما تبقى لي ، مني

فى حضانها مستسلما راضيا ، وأعب من لبنها الموجى ما
فوق طاقتى ، فتحملنى إلى سدرتها .. وما أن أفىق حتى
أعاود مرة أخرى ..

قلت فى نفسى : اليوم ليس لك .. فلأطف بالمدينة .
عرجت فى أول شارع قابلنى .. كنت للأمس أذكر اسمه
.. يبدو لى كأففى .. أنكمش داخلى .. ثمة إحساس
يدهمنى .. يركبنى الخوف .. أسرع .. يتبعوننى ..
أجرى يمسكون ظلى .. أسمع وقع الحوافر خلفى ، وقعقة
نصال حادة تصطك ، وهممات لا أعرفها ولا أفهمها
تترجرج ثم تذوب ، ويهبط غبار كثيف .. أتكور ..
يضحك من حولى التراب .. عندها صرخت ، قالوا :
مستك الأرض .

قلت وعيناي تتزان : على بابها ذراعى مبسوطتان
قالوا : توهمت .. وما زلت فى كل المواسم تبحث عنها
وما زلت فى كل الدروب تشعل جمرها الحجرى فىك ..
حتى تعود ..

تحاملت على نفسى وقمت ..

كان الشارع خاويا وطويلا .. وثمة نافورة ، من الغبار

تحملها الريح ، والناس ظلال تتكسر ، مندفعون – بعيدا ..

في نفس اتجاهى .

هديل

فى القاعة ، كنا ، مكورين كالقنafd ، من يفىق منا ىغير
وضعه أو ىبول ، ثم ما ىلبث أن ىندس مكانه ثانية . .
كتلة من اللحم نكون . . (لا ىمكنك التمييز بيننا مهما حاولت)
. . ننام على البطون ، أغلب الوقت مبخلقى العيون . . أبى

هات . . تذهب أُمى كل جمعة وثلاثاء للسوق ، يقبلنى أختى

• • عيناها فى عيني • • يصغرنى • • يتمتم : سأسافر أنا •

أحضنه : أنا الكبير •

يصر • • تخفى أُمى وجهها فى عبا • • تتهنه • • ينقبض

قلبي • • لا أقدر • • يقول زوج أختى • • (وكان ينام معنا

بيناته الثلاث) : نسافر معا •

أسلمت نفسى للبراح ، شغوفا كنت ، أعبئ النسيمات فى

صدرى • • تتنفخ رنتاى • • أفرد يدى على آخرهما • •

أحضن المدى • • تقطر فى داخلى أشواق مبهمة • • تنط

أتقافز خلفها • • متراقصا فى هيئتى : ضيق بنطلونى

وقميصى مقطوع من تحت الإبطين ، وحذائى الكاوتشوك

كلح بياضه • • لا يهم • • سعادتى الآن فى قلبى تقرر • •

الشوارع عريضة • • المبانى ارتفاعاتها واحدة ، لكنها فى

شكل مختلف ، حادة القسمات والزوايا • • لم أرها من قبل

• • قلت لأختى ، وبيتنا الواطئ ينتصب فى عيني :

- جئت هنا من قبل ؟ !

أعرف أنه لن يرد سوف ينظر لى ، ويخفق كما توهمت
الإجابة . . يعطينى زمزمية المياه ، والكريك ، ويعدل القفة
فوق رأسه ، ويشير تجاه المباني :

- أسرع ، احجز لنا غرفة .

الصوت ضعيف ، لكنه أمر . . تعثرت فى نبتة لها شكل
" كوشة " لا هى صفراء كرملة الشارع ، ولا خضراء
كزرع . . لكنها ندية . . أحسست بخرج زال فى اللحظة
وأنا أتخيل شكل الغرفة :

كانت واسعة كأنما القاعة ووسط الدار فتحنا على بعضهما
بلا جدران .

هواء بكر يمرق مسرعا . . ترسل الفتحات خلفه صفيرا
كالرنين منغما . . أتعبه . . يحلو لى أن أقبضه فى راحتى
وأقذفه . .

أعمدة الكهرباء ، فى خط مستقيم ، تتلاشى فى بطن السماء
. . قال أخى . . (بعد ما وضع ما فوق رأسه وما فى يديه
وقفل من حيث جاء) . . .

- رص الشيل .

وضعت القفة فى الركن ، والمقطف جنبها ، وصرة الغموس
بينهما . . خلف الباب ركنت الوابور و صفيحة الجاز
وفرشت الحصيرة فى الطرف الآخر ، وتمددت عليها . .
دخلتلى رعشة . . انكمشت . . كانت رجلاى ملمومتين
على بطنى ، وشئ ما أحسه فوق رأسى ، وفى ظهرى
وجنبى . . تماسكت ، وفردتهما على آخرهما . .

انتعشت . .

فى فمى لكت حلمى على شكل أغنية . .

. . دندنتها . .

الآن يمكن لأمى وأخواتى والبنات الصغيرات أن يتمددن
مثلنا ، دون غضبة ، أو صرخة قبل أن يطلع النهار .

تحد

قصدا ، فى قاعة الاجتماعات ، احتشد نفر من الشباب
تباينت أعمارهم ، تعالت همساتهم للحظة ، ران على المكان
هدوء نسبي تقطعه بعض الحشريات . . . بدأ المذيع يعلن
فى إيجاز كلمات قول الحق افتتاحا للمؤتمر الموسع . . .

تلاه كلمة المقرر أو صاحب الفضل الأول للمبادرة الشجاعة
الذى هو المؤتمر كما قال المذيع . . . والذى لولاه لما كان
هذا الحشد داخل تلك الصالة .

وبدا الجميع يصفقون والأستاذ يخطو نحو الميكرفون محييا
ومبتسما حيث اعتلى مكانه وبسمل وحوقل . . . ووجه
الشكر ، وأمام كل ضيف يصمت برهة ليحييه الجميع . . .
وعليه يقوم الأستاذ بإيماءة أو انحناءة تطول أو تقصر حسبما
التصفيق . . . وأنا . . . من مكانى أراقب الجميع ، وربما
هناك من يرقبنى لا أدرى فلم يشغلنى ذلك . . . التصفيق
مستمر والأستاذ فى إسهاب موجز يلقي بعض الضوء ، لا
كله ، على سعادة الوزير ، الذى على يديه تتم كل المنجزات
العظيمة والتي نلمسها جميعا فى شتى الميادين ومختلف
الأمكنة . . . بعض الهمهمات تتناثر ويعلو رزازها لتتفرج
بعض الشفاه وتلتقى بعض النظرات ذوات اللون الأبيض . . .
لم يزل الأستاذ يحصى بعض - لا كل - فضائل سعادته
ليعلو التصفيق . . . لفت نظرى جارى فى تصفيقه يكظم على
أسنانه - غيظا - ويصفق بقبضتى يديه . . . عندما
استشعر بى :

همس: لم يزل للحديث بقية .
أجاب آخر : هل سيتبرع ببضعة آلاف ؟
همس ثالث : " يفضوها سيرة " .

عندما وقف لم أكن رأيته من قبل ضخم الجسم
عريضه ، تحمل قدماه كرشا ليس بالصغير . . وألقى كلمته
نسبت أولها أو كيف بدأها عند قوله : أتحدى أمامكم وأمام
الصحافة وأمام الإذاعة والتلفزيون إذا كان لمواطن على هذه
الأرض وفي هذه الدائرة - بالذات - مشكلة .
أدهشنى هذا الصمت الموغل .
ما من أحد ليس له مشكلة .

وكررها وأردف : " فى مؤتمر كم ضعوا كل تصور اتكم بل
أحلامكم وخططكم لمدة عشر سنوات قادمة " .

غاضبى التصفيق والبسمات وتلك الهمهمات والتساؤلات
الخفيفة أكثر من ذى قبل كأنما لم يكن لها وقع إلا الآن . .
وإذا بالمذيع يسخو فى مديحه ويجذل فى عطائه لسعادته . .

مع علمى لو كان للكلمات ثمن ما أكثر . . . وهمست لجارى :
على فكرة ما رأيك فى وزارة للكلام مهمتها أن تقلل من
الكلمات أو تلغيها فى بلدنا لمدة شهر . . . شهرين حسبما
يترأى لها والتعامل بالإشارة ؟ . رد وقد أنبسطت أسارير
وجهه : والله فكرة .

وانتهى حديث سعادة الوزير وحديث سيادة المذيع لينقسم
الحشد إلى جماعات لبلورة التصورات لتكون توصيات -
طبعا - بعد المناقشات . ولا أدري إذا كان من سوء حظى
أو حسنه أن جماعتنا لم تتعد العشرين بأى حال . . . ولم نك
بعد بد أنا . . . وإذا بالمندوب - الإذاعى - يهل علينا ويسأل
: " سيادتك رئيس اللجنة " .

أجاب أكبرنا : نعم .

- " ممكن سيادتك تعطينا فكرة عن التوصيات والمناقشات
التي دارت " .

- " لم تدر بعد . . . يمكنك أن تنتظر " .

- " سيادتك مرتبط بمواعيد " .

وأعطاه دوسيتها أصفر فاقعا مكتوب عليه توصيات
اللجنة . . وتأبط ذراعه وانتحيا هناك ركنا ، وداس على
زر المسجل . . تسلقت عيني وجوه الجماعة فإذا هم
يتفحصون أكياس الغذاء التي بين أيديهم في تشوف . .
سحبت أنفاسي وباب الحجرة ومضيت . .
في حين كانت السحب تغسل ضفائرها . .
فأخفت وجه السماء الحليب . .

علاقة

كانت تزحف على مؤخرتها ، وتميل بجذعها قليلا على يدها اليسرى (التي تتحسس موضع زحفتها) . ثم تهدأ وتتنظر إلى ما في جرها ، وحين تراه يتشبث في انحناءة بطنها تعاود الزحف مرة أخرى . . . وحين تستقر

بعد مشوار ، وتسند ظهرها للجدار ، تغمض عينيها ، وتترك
وجهها والذي فى حجرها للتي تجيء .

"على استحياء ، كانت الشمس تتدلى وتفرش مساحة صغيرة
فى بقعة الظل الممتدة بطول الوسعاية . . "

عادة ، يتدحرج الطفل قليلا ، ثم يلمس خده التراب الرطب
فيأنسه قد ينشب أظافره فيه فيقبض حفنة ، سرعان ما يلتفت
وراءه : يجدها وادعة مستكنة . . يعتدل هنيهة . . يرمى
عينيها هناك : على بعد أمتار ، تهجع عمارة خليفة
(الأخصائى الاجتماعى والذي يدرس مادة الإنجليزى فى
المدرسة الثانوية) . .

عند العتبات اللامعة والباب الحديد - المقفول - يطوف . .
ربما كان عليه من البداية وبذوقه الرفيع أن يقرر . . يمنة
ويسرة يلتفت ، وعلى متن الدرجة الأولى يحط - بعد مجهود
- تتلاحق أنفاسه . . نصفه الأسفل عريان ، نصفه الأعلى
- عليه قميص - مبقور ، من قبل ومن دبر . . هم بوضع
خده لكنه عدل عن ذلك لما قرصته ملاستها ، ولما تبين له

مدى صعوبة ذلك - بعد محاولات - قرر أن يفعلها - غير
عابىء - بخبث ، مخلفا وراءه أشكالا لا تمحى بسهولة
يغمرها العفن تنتثر قطرات الندى مع ريح خفيفة عبرت
الوسعاية .. يتثاءب كلب أبو حامد بوهن .. يمد رجليه
الأماميتين ويتكىء عليهما .. ينفذ رأسه فتسرى الرعشة
فى بدنه - وعيناه معلقتان بالطفل - يميل بجذعه للأمام
وتتفرد قدماه الخفيتين فيبدو كتمثال ، للحظة ، .. يتجه إليه
.. تحين منه التفاتة إلى الوجبة الشهية غير أن حامد يفرد
يديه .. يتمسح الكلب به ويهجع .. ما إن قبضت اليدان -
المعفرتان - الصغيرتان على عنق الكلب واستماتت قدماه
على جانبى البطن تحرك الكلب فى اتجاه العجوز التى -
كانت - تمشط شعر إحدى البنات .. يمكنها الآن أن تتساند
، والبنات كما هى فى حجرها ، وتحتويك فى حضنها ..
تدفع ورقة بين فخذيك وترميها بعيدا ، بعيدا ..

وحين ترى ابتسامتك المعجونة بفرح وأنت تعضض
إصبعك يا حامد لا تملك غير الابتسام وهى تلعن أمك
وأباك .

ثلاثية الحزن

١ - نخب الجوع

كانوا أمامي :

القوام الفارعة ممصوفة الدم ، الوجوه المحروقة

مسحوبة على هياكلها . . كائنات من عظم وجلد ، تتدحرج
فى نحيب مكبوت ، بفعل الريح ، نحو قصاع الطعام وماء
الخنوع . . . تتن الأرض ، المستثارة ، من جرجرة أقدامهم
التي لم تعد لفرط إنهاكها .

فى هرج تتواثب أعينهم تشد شرشف الوصول إلى تخوم
الشبع . . . وعندما رأت ، ولم يك لها سلطان على الاحتمال
تغمضت . . . ناخت الأقدام وتقرفت ، مثل القروء على
نهر ييس ، كأنها تصلى أو تتداخل فى أجنتها ، " والقردياتى "
مروضة شقراء ، يلمع لحمها ، المكتنز ، تحت وهج الشمس
. . . وبمغرفة من خشب تصب المرق فى الصحاف
البلاستيك ، وعصاها مغروزة فى الرمال . . .
مضغت تبغ عجزى ، وقلت للذى هاجمنى أو هكذا
استربت : نم .

وتملكنى الذعر .

٢ - مهادنة

الفراغ غاية . . . ثمة أشباح على أشجارها تتغرغر :
تخرج الجرذان ، من جحورها ، تتقاذف . . . تطل الثعابين
وتتساب فى ليونة مخادعة ، على قارعات الطرق ، ملتفة
ببراقع الغدر . . . والوطاويط فى المحميات تتكاسر على
لعق الدم . . . تتوافد بنات آوى ، عاريات ، فى عين الشمس
تتصب فخاذها للذين لا يرون . . . { كنت أرقب - أنا
المهادن - على تلة فرعى : ماذا يدور فوقى ، ويحدث بين
جنباتى ، ولم ؟ ! } .

أسراب من البوم تحط شباكها . . فى لحظة ، عواء
يمتزج بالسعال . . مسوخ أشباح تظهر وتختفى ، تشق
الغيوم ، لها رائحة الصنان - والعالم قد هياؤه لطينة أخرى
مموهة بالأمم والشرعية والجوار - تتفتت الصرخة فى
الخلوق . . .

تتناثر أشلاؤها فى الفراغ ، وحين تهبط للأرض تأخذ شكل
بنايات تنهار ، وجسور تتهاوى . . يهرع الأهالى مذعورين

فى الطرقات جثث تتساقط تلو جثث .. تتفجر نوافير دخان
.. تغمض السماء عينيها ..

تتوالى صور لطيور نفقت ، وعيون ، قادرة ، تسيل منها
المساحيق .

{ أيها المهادن على تلة فزعك هل تفهم ؟ !! }

دفتت وجهى فى راحتى .. وكانت العاصفة هدأت ..
فككت أختام كتابى ، نفضت الغبار .. فتحت ورقة ودخلت :
مدت لى يديها شهر زاد وكانت تبكى ...
تتسدل دموعها على كتفيها ، وتتزلق للأرض فتخرق مكانها
... ولم تبج .

فتحت ورقة أخرى ودخلت : هرعت إلى الحيوانات ،
وتكومت تحت قدمى ، ثم نامت ملمومة السيقان وكانت
ترجف ...

انقلبت ورقة لحالها ، ودخلت : كانوا يتقاسموننى فيما
بينهم ...

قلت لى نفسى : متى أفهم ، عندما تصير كل قطعة منى
على جبل وأعود عبدا ؟؟

• انتفضت ، فيما كان الدم تحجر فى مقلتي •

قال الذى هاجمنى بغیظ :

- ما بك ؟ !

كانت حانية ، منه وخشنة •

قلت وقد داخلنى الريب : الآن فهمت ••

٣ - موت

نهار غائم • نسوة متسرבלات بالبكاء ، و عذارى نزعنت

جلودهم عنوة ••• جند يتشممون فوهات أسلحتهم وينفخونها

•• تدخل عذراء ، متخفية فى زى غزالة ، لها أريج الشرق

تعدو يمينا يصدھا الجند ، تعدو يسارا تتخبط فى النسوة

والعذارى •• وحين تتعب تغرز قرنيھا فى زبد السماء ••

" تعرف أن حتفھا الآن أن " •

يمتطى الجند العذارى ، يتجشأون الدم ، مصفقين لفارس

أشقر يدنو من الغزالة ، وقبل أن يشحذ حربته ويمتطيھا

- يَبْصُرُ عَنْهَا جَنْدَهَا قَطْعَةً ، قَطْعَةً ، وَيَعَايِنُ خَرِيطَتَهَا •
- قَتَّبَجَسَ النَّيْرَانَ مِنْ عَيْنِيهِ •
- الْعِذْرَاءُ الْغِزَالَةُ تَتَشَطَّى •
- وَالنِّسْوَةُ نَائِحَاتٌ فِي أَنْيْنٍ مَكْتُومٍ ••
- وَالْفَارِسُ الْأَشْقَرُ يَغْمَدُ حَرْبَتَهُ ••
- وَعَيُونَ الْعَالَمِ تَرْمُقُ خَلْسَةً - فَارِسُ الْوَقْتِ - وَهُوَ يَحْيَى
- الْجَنْدُ بِحَرْبَتِهِ الْمَدْلَاةِ مِنْهَا رُؤُوسٌ كَثِيرَةٌ - كَانَتْ -
- تُعْذِرُ أَوَاتٍ •
- " فِي ذَيْلِ اللَّوْحَةِ إِمْضَاءٌ : أَعْمَى " •
- تَلَفَتْ حَوْلِي ، وَحِيدًا كُنْتُ ••
- السَّمَاءُ غَائِمَةٌ ، وَزَخَاتُ الْمَطْرِ تَصْرُصِرُ فِي أذْنِي ••
- اقْتَلَعْتَنِي رَعْدَةٌ ••
- وَأَنَا أَخْفَى بِلَلَا ••
- مَالِحًا ••
- تَحْدُرُ حَتَّى فَمِي ••

تحقق

تحاملت على رعدة دخلتني ، واستعنت بالله . . طفا
وجهها الذي قبلني بشحوبه وتجاعيده ، وشدني لحضنها
فسكنت جروحي عن النباح .

سبقتنى يورى فى امتدادات البراح . . رابعهم كنت
. . أطالع الصباح بتمتمات تسرع فى تموجاتها . يرتطم
جسدى ببخار - هو منى - أستطعم دفاه . . تلسعنى برودة
الرداذ . . أفيق ، دون توقف ، وأكمل السير وراءهم .

الشوارع حادة وموغلة ، عريضة وفارغة ، تغالب وحشة
صمت ما قبل الفجر وما بعده .
النتوءات المصمتة ، تخطف عيني فلا أرى لها أية نوافذ
أو أبواب ، كأنما الذين شيدها لم يخرجوا منها أو يدخلوها
فلا أدرى كيف استقامت ، هكذا ، عالية ، ولماذا؟؟

أثرت الانطلاق . . لا . . كان جبرا على ، اللحاق
بالثلاثة الباقين ، المندفعين . . الشارع يسلمنا لشارع وشارع
يقذفنا فى طريق هجعت على جوانبه سيارات مختلفة الأشكال
والأحجام والألوان .

قلت - بعدما كلت قدمائى - للذى يحاذينى :

- هل حقا سنعمل ؟

- حين نعرف مكانهم .

- وهل يحدث؟؟

اسقط في جبهه ريقا فباننت دوامات على صفحة وجهه قال
بحنق :

- نحاول .

كان الرحيل كما تواعدنا ، بعد صلاة الفجر ، الذى حرصنا
عليه استزادة - والذى أعرف الآن أنه على الأقل الزاد
الوحيد - . . . علت همهماتنا ، أظهرت سخطها ، شجبها
فتداخلت وتعقدت ولم تفصح عن معنى . . .

كانت طيورى ، لا تزال ، فى امتدادات البراح . . .
حطت على طيف يتدحرج . . . مثل نقطة . . . أشرت
للصحاب . . . على مدد الشوف ، عيونهم شعت ضوءا أسود
وأحكمت سياجها حول الطيف .

" المرام هو " . . . قال الأول .

" لن نفقده " . . . قال الثانى .

" علينا به " . . . قال الثالث .

تثاقل لسانى ، لا أعرف هل للفجر كل هذه المرارة ؟
وسكت . كنا نشد الخطى خلفه . . . حين رأنا ، فى تلفته

فهم ، وتابع سيره المتدحرج .

الطريق يمتد ، والسماء تبدل جلابابا بجلباب والمسافة

بيننا وبينه لم تتغير ، هي هي ، كأنما قيست تماما .

قلت : لنجر .

عند انحناءة شارع عبرناه ، حاذر في التلفت . . هي رغبته

الآن ، أن يجرى . . في انحناءة أخرى ، كأن ما يدفعه هو

تعقبنا .

كان يجهد في أن يفلت ، وكنا نعرف أنه لقممتنا . . شهر

مضى على نزولى عندهم . . في الحجرة الرطبة التي لا

يملك أحدنا فيها غير مكان جسده ليلا ، والتراحم نهارا . .

نقف بالطابور على دورة المياه وحوض غسيل الوجه . .

نخطف من بعضنا على مضض ، لقيمات مقددة ، ونجرع في

أسى سوء الحال وقلة العمل . . ونقتات فتات العودة . . كل

في ما جمعه . .

نز قلبي جروحه وكأنما قلت :

- الطعين أنا .

كان تحركنا في صورة عشوائية .. نبتعد ونقترب .. نتعثر
ونقوم .. نحتك .. تلهث أنفاسنا .. تتلون وجوهنا ، لكن
نظراتنا لها هدف واحد ..

نقطة على البعد ..

تتدحرج ..

علينا بمرآقتها ..

قبل أن تتلاشى ..

أو تتبخر ..

وحشة

قلت للذين قيدوني : أريد أن أراها .
همهموا بالسكوت . . نظرت لساعتي وتظاهرت بالانشغال :
فردت ساقى ودعكتها مرة ومرات . . انتصبت شعيراتى
وخلتها تكبر . . حدقت فيما أرى : سماء النهار غابة تتلوى

فيها ولا تذوب الرياح .. خرجت لى من بين الأعشاب
بوجهها الحزين وعينيها الصغيرتين كلؤلؤتين ، متناقلة
الخطى .. مرتعشة .. هرعت إليها .. مدفوعا بالشهامة
.. دقت نفسها فى قلبى ونهنت

التمت اليعاسيب والشعابين .. لعقت أقدامنا حتى انتفخت
بطونها كيف كان لنا أن نتركها من غير صراخ ؟؟

ما الذى حدث ؟

مخدرين كنا .. مجبولين .. أو لا نرى ؟
أعرفها وأذكر أنى فى يوم ما عندما حاولت تقبيلها
زجرتى بسكوتها وبكت .. ايقنت ساعتها أن لا محالة
أثمت .. ولن يقبل الله توبتى حتى أكفر عن إثمى ..
نشف عودى واصفرت أوراقى .. وكدت من فرط
هولى أن ..

قالت : أنت !

قلت : أنت !

ورفعت نفسى عنها .. التصقت بى ودخلتلى
فانتشيت .. وتدافعت السوائل فى عروقى وطفحت ..

قلت : لماذا ؟

يقول أبى : اقبض عليها حتى لو صارت جمرا •
وتقول أمى : كلنا سواء • • كلما اقتربت منا ملكتنا •
لم تتكلم • • كنت أجاهد وأشرب سكوتها • • ولم أتكلم •
جر جرتتى من يدي • • لم أقاوم • • وفتحت الباب • •
ودخلنا • • وكأنا على شفا هوة عميقة وقفنا • • لم تكن
جوارى : كانت رعوس كثيرة مفصولة عن أجسادها
تسبح • • بكل رأس عينان صغيرتان كلؤلؤتين • • باليقين
لم أفهم مدت يدها • • رفعت نظارتى وقبلتتى فى عيني • •
متى استطالت هكذا أم أننى القصير القصير ؟؟

هولى • • ناديت بكل عزمى • •
كانت يداى مغروزتين فى التراب حولى وكلاب كثيرة
تلفنى • • تمنعنى من التحرك وكلما أفتح عيني يدق الهواء
مساميره فيها • • فلا أرى • • أغمضهما بسرعة • •
سرعان ما يصعد ضوء من شرابيني لينا وشفيفا حتى إذا
ما بلغ رأسى تتفجر شلالات الرؤيا وتسيل • • أقاوم غرقى
بكفى الصغيرتين ولا أستطيع • •
أنا القصير البدن واليدين مديد البصر • •

أصرخ ..

تتقبض ملامحى وتتوتر .. تكبر وتتسع المسافات :
الوجه الحزين والعينان فى الماء والدم يتسرب على
الخددين ..

أصرخ ..

غير أن صوتى يحضنه المدى ..
فتدخلنى :

صافية كنسمة ..

هادرة كدم ..

فى عروقى ..

للخنازير

الذين هم فى مثل سنى • والذين لهم عين مثل قلبى ••
لا بد وأنهم يدركون حتمية التلقى لإشارات الآلهة •• (نظرا
لقلتهم) •• فتراهم هكذا يرسمون فى سمائهم • بيوتا كثيرة
مقفولة الأبواب والشبابيك •• ملفوفة بملاءة غبشية ••

(تحسبها بعد تفحص وإمعان غزالات مقعية غلبها
التصحر) • وعلى البعد تتبدى شجرات معطوبة الجذع
مصفرة الورقات يبست على أفرعها الواهنة ، بضعة
عصافير أو غربان • (لا يمكنك التمييز بينها) • • غير
أنك لا بد وأن تلاحظ سهامهم الشاردة • • فتتلفت لترى :
نهرا غاضت منه مأوه فبدت قاعة على عروشها • • (ربما
لأنك لم تره جيدا أو لأنك رأيتَه بذلك الإلحاح • الأخرس •
الثقل • للم الشذرات فى محيط الرؤية) • •

تصاعد عليك موجة باردة ، ولزجة ، لا تدري من أين ؟
(حتى الآن • • لم يكن عقلك فى حاجة إلى إعطاء الأوامر
• • فهكذا قد اعتاد كثيرا ، دونما أية بودار) تنزع نفسك من
عتمتها : ظل ضوء يفترس القاع ، مرة أخرى ، كومة من
الجثث المهلهلة تتقلب بين الفينة والأخرى إلى صفائح صدئة
سرعان ما تلبث أن تعود إلى حيوان خرافى ، معوج • •
وملتو • •

(قد يكون أفعى ، أو طريقا أو سردابا داخل هرم
أو يمتزج كل شئ فى لا شئ)
يفجؤك الذين يتدلون من خارج الخط الموهوم : الملامح

إلى حد كبير ، لأول وهلة ، تشبه خنازير فى عراقك معلى
وبرئ .. (ما زال كل شئ أشبه بالشذرات) تنتبه لعجينة
التناقضات الغريبة فيك .. تدقق النظر ..

(كم من عمرك مضى دون هذه اللحة / الومضة
/ الوقفة / لفحص ما يعتريك) مرتعدا ، ومرعوبا :

- إنهم يشبهونك .

كان الزمان يتسع أو يتوقف .. كل الملصقات خنازير
.. كل المكملات لأية طقوس نمارسها ..

(أو مارسناها) .. خنازير .. (ليس حبا فى

الخنازير) بل هو نوع من الواقع لممارستنا المغموسة فى
وحل التفاصيل ..

- أنهم يشبهونك .

تتراص الشذرات .. بسرعة عجيبة .. تلقائيا ، كمكمل

لبعضها ، بلا هوادة أو حياء ، أو توسلات .

الجالسون على مقهى ريش ، أو فى الأتيليه والحرية

ما زالوا مختلفين بين قصيدة النثر ، وقصيدة الشعر .

والمرتادون للحوانيت ومقاهى مجول يتتأخرون بين

وكسة الزمالك وهلاهيل الأهلى والغائبون خلف الأبواب

والشبابيك يمارسون طقوسهم المفضلة مع فضائيات البوستر
والدش فى البحث عن ساعات ما قبل النوم . . . (حريم
مجول - والعياذ بالله - بعد طى السموات - أصبحن
خفراء فى الهيئة) .

الآن تنز تروس عقلك الصدئة ، ثم ما تلبث أن تعصف
بعد حين . . .

(لا تزال الأمم المتحدة ومجلس الأمن تعقد جلساتها
الواحدة تلو الأخرى بحثا عن مبررات أخرى ، لعواصف
أخرى لنزع رمال الصحراء) . . .

تستوفز حواسك . . . (ربما فى نفس الوقت ، بنفس
الإحساس الخانق) ترفع يدك المقطوعة الأصابع وتوجه
لكمة قوية . . . فى محيط الرؤية . . . قد تصيب أحد وجوه
الخنازير ، فتنحول بفعل اللكمة . . . إلى ما كانت عليه . . .
ربما . . . وربما تستحلب عينيك الرؤية . . . فتقهقه . . .
بل وتؤكد :

- هذى اللوحة لخنزير .

المحتوى

7	بورترية
13	تكوين
19	مشاوير الأسياد
35	سجدة للسفر
39	الرقص على الخليج
44	نهار سابق
47	رجفة
53	الإرث
61	جلوه
64	هديل
68	تحد
73	علاقة
76	ثلاثية للحزن
82	تحقق
87	وحشة
91	للخنازير

صدر المؤلف

١٩٩٣

ديوان قصص

* على باب ناعسة



.. كلما زادت على التصاريف ..
أوغل في نفسي .. تراوديني ..
ألملم بعضي على بعضي ..
تراوديني .. الإرث لك ..
أعب منك لبنك الصمدى ما يكسو
عظامى وأشب من جديد

إيهاب الوردانى